رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

التعصب المذهبي والتحزب الطائفي

إعداد

الدكتور محمد طاهر حكيم

عميد كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

مقدم إلى

المؤتمر الإسلامي العالمي

مكافحة الإرهاب

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود

مكة المكرمة

٣ - ٦ / جمادى الأولى / ١٤٣٦ هـ، الموافق: ٢٢ - ٢٥ / فبراير / ٢٠١٥ م

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ – الفاكس: ٥٦٠١٣١٩ – ٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة – مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

conferences@themwl.org

واتس أب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٣٩٦٣٢٠ :whatsApp

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن ولاه، وبعد:

فإن الإرهاب قضية مقلقة مؤلمة، وآفة خطيرة مميتة، وحالة مَرضية مزعجة، ومشكلة عالمية مزمنة، يسعى أصحابها إلى دق أسافين الشقاق والصدام بين الأمم والشعوب الإنسانية، عن طريق بث الخوف والرعب والكراهية، وإثارة المخاطر والأضرار في مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية، إلى جانب مخاطره المباشرة التي تتمثل في الإضرار بالمنشآت والضحايا والإصابات، فضلاً عما يخلّفه من أضرار نفسية واجتماعية على الأفراد والأُسر والمجتمعات.

وإن التحدّيات الكبيرة التي يمثّلها الإرهاب؛ تَدفعنا إلى أن نَفهم أسبابَه ودوافعَه والعوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية التي أدّت إلى ظهوره وانتشاره واستفحال أمره، وطُرق معالجته والقضاء عليه، والفرق بينه وبين المقاومة المشروعة لتحرير البلاد، ورَفع الظلم والاضطهاد عن العباد، وتصحيح المفاهيم الخاطئة السائدة، وتقديم الإسلام للعالم بصورته الحقيقية المشرقة القادرة على إنقاذ البشرية من الشقاء والظلم.

وللإرهاب أسباب متعددة ومختلفة: اقتصادية واجتماعية وسياسية ومَرضية ودينية، وسيكون موضوع بحثي المتواضع عن جانب من أسباب الإرهاب الدينية؛ ألا وهو «**التعصب المذهبي والتحزب الطائفي**».

فالتعصب داء عُضال ومرض خطير، سببه: الجهل وقلة المعرفة، وتعظيم الأشخاص فوق القدر اللازم لهم، وهو يؤدي إلى اتهام المخالف بالجهل والخطأ والسذاجة، ومن مساوئه: ضِيق الأفق والعُجْب والاعتزاز بالنفس وعدم احترام الرأي الآخر، وصعوبة الاعتراف بالخطأ ومن ثم الرجوع عنه إلى الحق، ونتيجته: الضعف والهزيمة والخَوَر أمام الباطل ودعاته، ويكون نهايتُه غالبًا إلى التفرد والتشدد والتطرف.

وأما التحزُّب فهو تركُ الجماعة والركونُ إلى زاوية مظلمة والإعجاب بالرأي وسوء الظن بالآخرين، والعصبية للرأي أو الحزب أو الجماعة أو الشخص، فهو بهذا يجعل الأمة شيعًا وفِرقًا، ويَخرق سياج الأُخوة، ويشيع ثقافة الكراهية ويفكك النسيج الاجتماعي، ويؤدي إلى اضطراب الحياة الاجتماعية والتطرف والتشدد.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة كالتالي:

المقدمة: في أهمية الموضوع وضرورة البحث فيه، وبيان منهجه..إلخ.

التمهيد: في توضيح مفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: في وسطية الإسلام ورحمته ومحاربته للغلو والتطرف والإرهاب.

المبحث الثاني: التعصب المذهبي والتحزب الطائفي.

والخاتمة: في أهم النتائج والتوصيات.

أسأل المولى عز وجل أن ينفع به قارئيه وكاتبه، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين.

تمهيد

في توضيح مفردات عنوان البحث: (إرهاب، تعصب، تحزب)

١ - الإرهاب في اللغة: الخوف والفزع، وأرهبه ورهّبه واسترْهبه: أخافه وأفزعه[(١)].

أما في اصطلاح الشريعة؛ فالإرهاب بمعنى الردع، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أي جهزوا العدة والعتاد بحيث لا يتجرأ عدوكم على العدوان والهجوم، وهو أقرب إلى كلمة (Deterrence) الإنجليزية، وليس بمعنى العدوان وإضرار الآخرين دون مسوغ شرعي، وقد خلَت كتُب المصطلحات والتعريفات والمدونات الفقهية القديمة من كلمات «الإرهاب والإرهابي» بمعنى التخويف والتفزيع دون سبب، لأن تلك الكلمات حديثة الاستعمال، وقد تُرجمت الكلمة من (Terrorism) إلى «الإرهاب» باللغة العربية[(٢)].

ورغم أن كلمة «الإرهاب» من الكلمات الأكثر استخداماً في مجال السياسة والإعلام، إلا أنها بقيت بمنأىً عن إيجاد تعريف دقيق له، فكلمة «إرهاب» نفسها مثيرة للجدل، وتستخدم بصورة خاصة لوصف كل ما هو بغيض محفوف بالشر والخطر، ولعل صعوبة تعريف الإرهاب ترجع إلى أنه تعبير يحوي عناصر مختلفة واتجاهات متعددة، فما يعتبره البعض إرهاباً،

---

(١) انظر: مختار الصِّحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ص٢٥٩.

(٢) انظر: موقف الإسلام من الإرهاب للدكتور عصمت الله، مجلة الدراسات الإسلامية: مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، العدد ٣، يوليو - ديسمبر ٢٠٠٤م.

يعتبره الآخرون مقاومة مشروعة دفاعاً عن الحقوق الشرعية المسلوبة، بل يعدّه البعض الآخر جهاداً شرعياً ودفاعاً عن حِمى الدين والعقيدة والأعراض والممتلكات [١].

وقد ذكر الباحثون في السياسة والإعلام نحو ١٨٠ تعريفاً له، منها:

- هجمات على البشر أو الممتلكات العامة أو الخاصة؛ تخالف القوانين الدولية [٢].
- الترويع الحسيّ أو المعنوي المقصود للآمن أو غيره من أجل تحقيق غرض شرعي أو غير شرعي مطلقاً[٣].
- والاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب الموقَّعة في القاهرة في ٢٢ من أبريل ١٩٩٨م؛ عرّفَت الإرهاب بأنه: «كل فِعل من أفعال العنف أو التهديد به -أياً كانت بواعثُه أو أغراضه- يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فرديٍّ أو جماعي، ويَهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض الموارد الوطنية للخطر»[٤].
- والحق أنه ليس هناك تعريف أكثر دقة وتحديداً، ومع ذلك فقد بُذلت جهود من بعض فقهاء القانون والمجامع العلمية لوضع تعريف يوضح

(١) انظر: السعوديون والإرهاب، ص٧٤، ٩٨، ٩٩.

(٢) المرجع السابق ص٧٥، ١٠٠- ١٠١.

(٣) موقف الإسلام من الإرهاب، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد ٣، يوليو- ديسمبر ٢٠٠٤م.

(٤) الإرهاب ودور المملكة العربية السعودية في مكافحته، للدكتور حسان غريب، ص٥١.

المقصودَ منه، وهذا يعني أن الإرهاب ليس أيديولوجية أو فلسفة سياسية، بل هو وسيلة لغاية.

٢- **التعصب لغةً**: هو أن يدعو الرجل إلى نُصرة عصبته والتألّب معهم على من يناوئهم: ظالمين كانوا أو مظلومين، ومنه: المحاماة والمدافعة والنصرة لمن يشترك مع الإنسان برابطٍ كالنسب أو المذهب [١].

واصطلاحًا: المغالاة في الانتصار للرأي الفقهي أو للمذهب الفقهي دون دليل [٢].

«والتعصب نمَطٌ من السلوك يتَّصف بالتحيز الظاهر والمَيل الشديد الذي يتداخل فيه ويتمازج العامل النفسي مع العامل الذهني، ويتمحور حول شيءٍ ما، إما فكرة أو مبدأ أو معتقد أو شخص أو جماعة، وبشكْل يكون ظاهراً ومنكشفاً عند الآخرين».

«التعصب يُغلق على الإنسان منافذ المعرفة والوصول إلى علوم الآخرين ومعارفهم، ويحجُب عنه اكتشافَ عيوبه، والتعرّفَ على نواقصه، والالتفاتَ إلى ثغراته، والتنبيهَ على نقاط الضعف فيه، وذلك نتيجة الاعتزاز بالذات، والاستعلاء على الآخرين»[٣].

والمتعصبون في كل مكان يؤمِنون بأنهم على حق، وأن الآخرين على باطل، وهم يؤمِنون بأن الآخرين يجب حجبُهم ومنعُهم وتحطيمُهم لأنهم شر محض،

---

(١) انظر: لسان العرب ومختار الصِّحاح، مادة: عصب.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبي زهرة، ١/ ٧- ٨.

(٣) في مواجهة خطر التعصب، والتعصب الديني، للدكتور زكي الميلاد، رئيس تحرير مجلة «الكلمة» السعودية، موقع www.rohama.org

لذا نهى الإسلام عن التعصب وحذَّر منه وجعَله من دعاوى الجاهلية وأخلاقها، قال ﷺ: «**ليس منّا مَن دعا إلى عصبية...**»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومثله التعصب للمذهب والطرائق والمشايخ وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية، وكونه منتسباً إليه فيدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي عليه ويزِن الناسَ به، كل هذا من دعوى الجاهلية»[٢].

٣- وأما التحزب فهو تجمُّع فئة أو جماعة ذات فكر مخصوص على رأْيٍ مخالف لرأي الجماعة المسلمة يجعل الأمة شِيعاً وفِرقاً، ويَخرق سياجَ الأُخوّة الإيمانية ويَسُلّ سخائم العداء والصراع، ويؤدي إلى اضطرابٍ في الحياة الفكرية[٣]، وهو بهذا قريب من «الافتراق» الذي يقع بين المسلمين بسبب الأهواء والبدع حتى يتباغضوا ويتعادوا ويتبرأ بعضهم من بعض.

والتحزب الطائفي: هو تجمُّع فئةٍ أو طائفةٍ أو جماعة تَجمَعهم صفة جامعة أو مصلحة شاملة أو فكر مخصوص على رأي مخالف لرأي الجماعة المسلمة، يجعل الأمّة شيعاً وفِرقاً، ويَخرق سياج الأخوة الإيمانية، ويشيع ثقافة الكراهية ويفكك النسيج الاجتماعي، ويسبب التمزق والتشتت.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٢١) وضعفه الألباني.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٤٢٨.

(٣) انظر: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب، للعلامة بكر أبو زيد، ص١٠٩، ١١٠، ١١٧.

المبحث الأول
وسطية الإسلام ورحمته
ومحاربته للغلو والتطرف والإرهاب

الإسلام دين الوسطية والاعتدال والسماحة والرحمة والسلام، والميزة الأساس التي ميز الله بها هذه الأمة عن باقي الأمم هي ميزة «الوسطية والاعتدال»، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والوسطية هي: الأخذ بوسطٍ بين طرفين متضادين، و«التطرف» هو الأخذ بأطراف الأمور لا بأوساطها، فالوسطية تأتي بمعنى التوسط بين شيئين، وبمعنى العدل والخيار، والأجود والأفضل، وهي منهج فكري، وسلوك أخلاقي، وهي حق بين باطلين، واعتدال بين متطرفين، وعدل بين ظُلمين.

والوسطية ضد التطرف والغلو، فديننا دينُ يُسرٍ ورحمة، ولِين وسماحة، ولو لم يكن كذلك لما انتشر في أصقاع الأرض بأَسْرها، وأُمتنا هي الأمة الوسط بكل معاني الوسطية [(١)].

وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة تشيد بالوسطية والاعتدال وتدعو إلى التيسير ورفع الخرج، والرحمة والرفق، والعدل والتواضع، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال ﷺ: «**إن هذا الدين يُسر، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقارِبوا**»[(٢)]، وقال:

---

(١) انظر: الوسطية في الإسلام للدكتور محمد عادل عزيزة، موقع www.taghrib.org

(٢) رواه البخاري (٣٩).

«**يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا**»(١)، وقال ﷺ محذراً من الغلو والتطرف والتشدد: «**إياكم والغلوَّ في الدين، فإنما أهلكَ مَن كان قبلَكم الغلوُّ في الدين**»(٢)، وقال: «**هلك المتنطعون**» ثلاثاً(٣)، أي المتشدّدون.

وقد حرَّم الإسلامُ إخافةَ الناس والاعتداءَ عليهم بالضرب أو القتل بغير حق أو التعرض لأموالهم أو انتهاك أعراضهم أو تفجير المساكن والمَركبات، وتخريب المنشآت، وتوعَّد على ذلك بأشد الوعيد، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، وقال ﷺ في حَجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**)(٤) **وقال: (كل المسلم على المسلم حرامٌ دمُه ومالُه وعِرضه**»(٥)، وقال: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة**»(٦).

وقد شنَّع الإسلامُ على الذين يؤذون الناس في أرجاء الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وأمَر بالابتعاد عن كل ما يثير الفتن بين الناس، وحذَّر من مخاطر ذلك، فقال سبحانه: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

---

(١) رواه مسلم (١٧٣٤)، وأبو داود (٤٨٢٥)، والإمام أحمد (١٩٥٧٢).
(٢) رواه ابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن حبان (٣٨٧١).
(٣) رواه مسلم (٢٦٧٠)، وأبو داود (٤٦٠٨).
(٤) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).
(٥) رواه أبو داود (٤٨٨٢)، وابن ماجه (٣٩٣٣).
(٦) رواه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩)، والإمام أحمد (٥٦٦٢).

وعالج الإسلامُ نوازعَ الشرّ المؤدية إلى التخويف والإرهاب والترويع والقتل بغير حق، قال ﷺ: «**لا يَحلّ لمسلم أن يُروّع مسلمًا**»(١).

وإن أول مقاصد الإسلام في المجتمع الإنساني: مقصد الرحمة، قال تعالى في حق رسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن مفاهيم هذه الآية: أنه ليس لرسول الله ﷺ وظيفة ولا مهمّة إلا نشر الرحمة، ومن السنة قوله ﷺ: «**مَن لا يَرحم لا يُرحم**»(٢).

فالآية والحديث ينتظمان الناس جميعًا، بِغَضِّ النظر عن الجنس أو اللون أو الدين أو المكان.

ولقد عبَّرت السنة عن الرحمة بلفظ آخر وهو (الرفق) فقال ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطِي على الرفق مالا يعطي على العنف**»(٣)، ولا شك أن الرحمة والرفق نقيضان للعنف والإرهاب في اللفظ والدلالة، وما يترتب عليهما من فِعلٍ وسلوك(٤).

هذا، وقد بلغ من اهتمام الإسلام بالرحمة والرفق والبعد عن التشدد والعنف؛ أنه أمَر المسلمين إذا اضطُرّوا لردِّ العدوان؛ أن يكون هذا الرد مقيّداً

---

(١) رواه أبو داود برقم (٥٠٠٤)، وراجع: موقف رابطة العالم الإسلامي من الإرهاب، ص١١، وفكر الإرهاب والعنف في المملكة العربية السعودية، للدكتور عبد السلام بن سالم السحيمي، ص١٣ وما بعدها.

(٢) رواه البخاري (٥٦٦٧).

(٣) رواه البخاري (٥٦٧٨)، ومسلم (٢٥٩٦)، وأبو داود (٤٨٠٧)، وابن ماجه (٣٦٨٩).

(٤) انظر بحث: الإسلام والإرهاب.. نقيضان لا يجتمعان، زين العابدين الركابي، في كتاب: السعوديون والإرهاب، رؤى عالمية، ص٣٩٦.

بعدم الاعتداء؛ بل منضبطاً بالعدل والأخلاق والرحمة.

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ومرَّ النبي ﷺ بامرأة مقتولةٍ في بعض الغزوات فوقف عليها وقال: «**ما كانت هذه لتُقاتِل**»، ثم نظر في وجوه أصحابه وقال لأحدهم: «**الحَقْ بخالد بن الوليد، فلا يَقتلنّ ذرّية ولا عَسيفاً ولا امرأةً**»(١).

وأوصَى أبو بكر رضي الله عنه جيشَه فقال: «لا تخونوا ولا تغُلّوا ولا تَغدُروا ولا تمثّلوا، ولا تَقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تذبحوا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلة..»(٢).

هذا هو منهج الدفاع المشروع في الإسلام، وهو منهج نقيضٌ للعنف والإرهاب.

- فمنهج الإسلام يَنهى عن تمنيّ لقاء العدو:(لا تتمنّوا لقاء العدو، ولكن إذا لقيتُم فاثبتوا، واسألوا الله العافية)(٣)، في حين أن الإرهاب يتمنى ذلك ويهواه.
- منهج الإسلام يقيد الدفاع بالعدل والرحمة والرفق وبعدم محاربة غير المحاربين من النساء والأطفال والشيوخ والرهبان، وبعدم إفساد البنية بالتخريب والتحريق وقطع الشجر، في حين أن الإرهاب يمارس ذلك كله.

---

(١) رواه البخاري (٣٠١٤)، ومسلم (١٧٤٥)، والترمذي (١٤٠٨)، وابن ماجه (٢٨٤١) والحاكم ٢/ ١٢٢.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٩٠.

(٣) رواه البخاري (٣٠٢٦)، ومسلم (١٧٤٢).

- من أقوى دوافع العنف والإرهاب: الإكراه على المذهب، ووأداً لهذا الدافع وإيصاداً لأبوابه: حرَّم الإسلامُ الإكراهَ في الدين، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

- وقال جل وعلا: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

- وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وبهذا هدم الإسلامُ أعتى أُسس الاستبداد الديني الذي يقترن دائمـًا بالعنف والبطش والإرهاب، لأنه يستحيل أن يهادن العنفَ والإرهاب[١]، وبهذا أسَّس الإسلامُ نظامَه على الرحمة والرفق واللين مع المسلم والكافر، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، بل مع الحيوان والطير.، قال ﷺ: «**إنما أنا رحمةٌ مُهداة**»[٢]، وفي صحيح مسلم أنه قيل له ﷺ: ادعُ على المشركين، فقال: «**إني لم أُبعث لَعَّانـًا، وإنما بُعِثْتُ رحمةً**»[٣].

ولمّا جِيء بالحَكَم بن كَيسان أسيراً، جعل ﷺ يدعوه إلى الإسلام ويكرر عليه وهو يأبى، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله: «دعْني أَضرب عُنقه ويذهب إلى أمه الهاوية»، ولكنه ﷺ لم يسمع لعُمر وبقيَ يدعوه حتى أسلم، ثم التفت ﷺ إلى أصحابه وقال: «**لو أطعتُكم فيه وقتلتُه دخل النار**»[٤].

---

(١) انظر: السعوديون والإرهاب، ص٤٠٠ وما بعدها، بحث: زين الدين الركابي.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٣٧)، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٥.

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٩).

(٤) انظر: الطبقات لابن سعد ٤/ ١٢٨، والإصابة لابن حجر ٢/ ١٠٩.

وكان الصحابة في سفر، فأخذوا فرْخين من طائر، فجعل الطائر يُعرش ويرفرف عليهم، فقال ﷺ: «**مَن فجّع هذه بولدها؟ ردُّوا إليها ولدَها**»(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: أقبل جملٌ على النبي ﷺ حتى دنا منه وجعل يرغو على هامته، فقال: إن هذا الجمل يستعديني على صاحبه، ثم قال: يا جابر، اذهب إلى صاحبه فأتني به، فقال جابر: ما أعرفه يا رسول الله، قال: إنه سيدلُّك عليه، قال: فخرج حتى وقف بي على جماعة في مجلس، فقلتُ: أين ربُّ هذا الجمل؟ فقال رجل: إنه لي، فقال جابر: أجِبْ رسولَ الله ﷺ، فلما جاء، قال له ﷺ: إن جملك يزعُم أنك حرثتَ عليه منذ سنين، حتى إذا أعْجزْتَه وأعْجفْتَه وكبر سِنُّه أردتَ أن تنحَره، فقال: والذي بعثك بالحق إن ذلك لكذلك، فابتاعه ﷺ منه وقال: انطلِقْ أيها البعير فأنتَ حُرٌّ لوجه الله(٢).

فهذه الأدلة تقرر سماحة هذا الدين ويُسره ووسطيته، وأنه ينافي الغلو والتشدد والتطرف والإرهاب، وهو المنهج الحق والأساس الذي يجب أن تسير عليه المجتمعات الإسلامية؛ لأنه يحميها من الغلو والتطرف والإرهاب، كما أنه المنهج القويم الذين سار عليه الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح من هذه الأمة.

أما مسمى الإرهاب الإسلامي ونسبته إلى الإسلام؛ فهو لا يعدو أن تكون أسطورة ووسيلة من وسائل الدعاية ضد الإسلام، والحقيقة أن الإرهاب ليست له هُوية ولا عقيدة ولا ينتمي إلى بلد، إذ أنه يوجد عندما توجد أسبابه ومبرراته ودواعيه، في كل زمان ومكان، وهناك جهاتٌ معينة اختارت عن قصد أن تجعل من الإسلام العدوَّ الجديد لتبرير سياسية الهيمنة والتدخل، متجاهلةً أن

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٧٥).

(٢) رواه الطبراني في الدعاء كما في حياة الحيوان الكبرى للدُّميري ١/ ٦٥٣- ٦٥٤.

الإرهاب ظاهرةٌ عامة مُوغِلة لها جذورها التاريخية، فهناك أكثر من ٣٧٠ منظمة إرهابية تعيش في ١٢٠ دولة[١]، وليس من الأمانة إلصاق الإرهاب بالإسلام، فهذا إنكار للأسباب الحقيقية للمشكلة، وتجاهلٌ للعمل على إزالتها، ومن ثم استمرار دوافع الإرهابيين، والمطلوب: دراسة الأسباب ذات العلاقة بجميع أشكال الإرهاب والعنف والقضاء عليها.

(١) انظر: السعوديون والإرهاب، ص٩٤.

المبحث الثاني
من أسباب الإرهاب:
التعصب المذهبي والتحزب الطائفي

تتعددُ أسباب الإرهاب، وتختلف باختلاف الزمان والمكان، وقد توجد جميعها في بيئة معينة أو زمن معين، وقد تختلف باختلاف البيئات والأزمان، والتحديات الكبيرة التي يمثّلها الإرهاب تدفعُنا إلى أن نفهم هذه الأسباب والعوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية، لأن معرفة ذلك يجعلنا أكثر قدرة على محاربته والبحث عن علاجه.

ونظراً لأن أهداف الإرهاب وأغراضه وأشكاله - بل وأسبابه- في تغيُّر مستمر، ولأن تحديد هذه الأسباب ومعالجتها عمل علمي؛ فيجب أن يتوافر عليه مختصون، يَدرسون الواقع ويفقهونه عن علمٍ ودراية ورُشد، ثم يضعون السبل لمعالجته، وفيما يلي أهم هذه الأسباب:

- الأسباب الاقتصادية: كالفقر والبطالة وسوء توزيع الثروة (خلل في العدالة الاجتماعية) والظلم والجوع، والاستغلال الأجنبي للموارد الوطنية...إلخ، كل هذه العوامل تشكّل محور أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب.
- الأسباب الاجتماعية: كزيادة حالات الطلاق، وانتشار الإجرام بأشكاله، وتغلُّب المحسوبية والوساطة والقبلية على حساب العدالة الاجتماعية، وانتهاك حقوق الإنسان، وتدمير البيئة.. إلخ.
- الأسباب السياسية: كغياب الوطنية في الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني، واستخدام القوة ضد الدول الضعيفة، والتدخل في

الشؤون الداخلية للدول، واحتلال الأجنبي للدول (كلياً أو جزئياً)، واغتصاب الأراضي والنهب والظلم، وعجْز الأمم المتحدة عن تحقيق أهدافها وتطبيق مبادئها ووضْع حدٍّ لكل أشكال الاستعمار والظلم والاضطهاد والتدخل والعنصرية، وعجْزها عن ضمان حقوق الإنسان وحرياته الأساس.

- الأسباب المَرضية: كوجود اختلالات عقلية أو أمراض نفسية لدى الإرهابي، فيحقد على المجتمع وأفراده ويلجأ إلى العنف للانتقام منهم.
- الأسباب الدينية: كانتشار الدعوات الهدامة والأفكار الضالة التي تحارب الدين، وتسعى لإقصاء الإسلام وعلْمَنة الحياة، واستفزاز المسلمين في أعز ما يملكون وهو دينهم، وكالكبت الديني وحرمان الناس من حقهم في عبادة الله بحُرية واطمئنان، بينما يُفتح البابُ على مصراعيه لكل فكرٍ خبيثٍ ورأْيٍ شاذ، وكتفشي المنكرات والمعاصي في بعض البلدان فتستفز بعض الغيورين على الدين، وعند غياب الوعي الشرعي والفهم الفقهي؛ يدفعهم ذلك إلى ارتكاب أعمال العنف ظناً منهم أن ذلك انتصار للدين... إلخ[1].

ومن الأسباب الدينية للإرهاب: «التعصب المذهبي والتحزب الطائفي»، وهو ما أتحدث عنه في مطلبين: الأول: التعصب المذهبي، والثاني: التحزب الطائفي.

---

(١) انظر: السعوديون والإرهاب، ص٦٤ وموقف رابطة العالم الإسلامي من الإرهاب ص٣١-٣٢ - والإرهاب: أسبابه وطرق مكافحته، للدكتور عبد الرحيم بن حمادي، موقع: www.turess.com.

المطلب الأول: التعصب المذهبي

هو المغالاة في الانتصار للرأي أو المذهب الفقهي دون دليل، وهو نمطٌ من السلوك يتَّصف بالتحيز الظاهر والمَيل الشديد إلى فكرةٍ أو مبدأ أو مذهبٍ أو شخصٍ أو جماعة.

ومن مَساوئه: أنه يَعمي العقلَ ويَحجب الإنسانَ عن إعمال الفكر، ويَسلبه التبصّر في اختيار الموقف السليم، لأنه لا يستند الى قوة البرهان ولامنطق الاستدلال، ومن ثم يؤدي إلى الاختلاف والتفرق بل إلى التشدد والتطرف.

ومن مساوئ التعصب المذهبي:

- أنه سبَبُ التباغضِ والعداوةِ والتفرق، لدرجة ترْكِ الصلاة خلْف مخالفي المذهب، وترْك الزواجِ أو التزويج منهم، بل طالَب بعض المتعصّبين في نهاية القرن الثالث عشر الهجري؛ بتقسيم المساجد واختصاص كل طائفة بمساجدها ومدارسها وطلّابها وأساتذتها وأحيائها السكنية، لشدة الخلاف والشقاق والتنافر والتناحر[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمّا مَن بلغ به الحالُ إلى الاختلاف والتفريق إلى درجة أن يوالي مَن وافقه ويعادي من خالفه، بل ربما يقاتله على مثل هذا ونحوه مما جوَّزه الله سبحانه... فهؤلاء من الذين فرَّقوا دينَهم وكانوا شيَعًا؛ فالواجب عدم السير وراء متعصبي المذاهب، لأن منهم مَن عُمْدَتُه العملُ الذي وجده في بلده، فجعل ذلك هو السنة دون ما خالفه مما

(١) انظر: التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، للدكتور خالد كبير علال، ص١٦١، والفتاوى لابن تيمية ٢٢/ ٢١٠.

صح دليلُه»[١].

- ظهور الفتاوى المنكَرة: حيث كان كل فريق من المتعصبين لمذهبهم يُصدر فتاوى منكَرةً ضد المذاهب الأخرى، ما أنزل الله بها من سلطان، وليس لها أصل في الدين[٢].

- المناظرات المذهبية: فقد كثُرت المناظرات المذهبية والجدل المذهبي كمَظهر من مظاهر التعصب المذهبي، ليس للوصول إلى الحق وكشْف الحقيقة، وإنما لهدم حجج وبراهين الغير، وكانت الأهواء والعصبية وإظهار الغلبة وراء ذلك الجدل، وانعكس ذلك على الكتب التي أُلّفت، فكثُرت الخلافات بين المذاهب[٣].

قال الحافظ ابن حجر: -كما نقل الدكتور التركي[٤]- «ثم حدث بعد ذلك أن وُجد باحثون لم يتحروا مسلكَ أسلافهم؛ فتعارضَت أفكارُهم وتعصَّب كلٌّ لطائفته، فكثر بينهم المِراء والجدل، وتولدت بينهم البغضاءُ حتى وُصفوا بأنهم خصوم بعض».

- أنه صبَغ الحياةَ العلمية بالتعصب في أصول الدين وفروعه، وأدى ذلك إلى اشتداد النزاع والتنافر بين مختلف طوائف أهل العلم، فكثر فيهم

---

(١) الفتاوى ٢٢/ ٦٦ نقلاً عن: أسباب اختلاف الفقهاء للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ص٤٠/ ٤١ وانظر أيضاً: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للثعالبي الفاسي ٢/ ٤٤٦- ٤٤٨.

(٢) انظر: المدخل إلى الفقه الإسلامي، ص١٠٤ (منشورات جامعة القدس ١٩٩٦م).

(٣) انظر: خلاصة التشريع الإسلامي، لعبد الوهاب خلاف، ص٩٧ (دار القلم).

(٤) في أسباب اختلاف الفقهاء ص٤١.

الغُلاة والمتعصبون من مختلف الطوائف المذهبية دون استثناء[١].

- أنه أخذ من أهل العلم - بكل طوائفهم - أوقاتًا عزيزة كثيرة وجهوداً مُضنية أمْضَوها في خدمة الفقه المذهبي المتعصب؛ انتصاراً له، ورداً على مخالفيه، وفوَّت عليهم الاهتمامَ بإقامة كليات الدين ومقاصده السامية الكبرى؛ كالأُخوة، والعدل، واجتماع الكلمة والتعاون على البر والتقوى، قال الإمام أبو شامة - كما نقله عنه شاه وليُّ الله الدهلوي[٢] -: «ينبغي لمن اشتغل بالفقه أن لا يقتصر على مذهب إمام، ويعتقد في كل مسألةٍ صحةَ ما كان أقرب إلى الكتاب والسنة المُحْكمة، وذلك سهلٌ عليه إذا كان أتقن العلوم المتقدمة، وليجتنب التعصبَ والنظر في طرائق الخلاف المتأخرة، فإنها مَضيعة للزمان، ولصفوِه مُكَدِّرة..».

- أنه أفسد العقلَ الفطريَّ الذي مدحه القرآن الكريم، وأثنى على أصحابه في آيات كثيرة، وهم أولو الألباب والنُّهَى وأصحاب الفِطَر السليمة، فأفسد التعصبُ هذا العقلَ الفطريَّ ومسَخه وأبعده عن نور الهداية الربانية، وقذف به في أحضان الأهواء والشبهات والشهوات، حتى انتهى به الأمر إلى إنكار ثوابتَ شرعيةٍ معروفةٍ من الدين بالضرورة؛ كصفات الله تعالى، والقول بقِدم الكون، وتحريف القرآن الكريم، وهذه المزاعم كلها باطلة لا دليل عليها من النقل الصحيح ولا من العقل السليم.

- أنه أَورث المسلمين نزاعًا وتفرُّقًا مازال قائمًا إلى يومنا هذا، وذلك واضح جداً في أدبيات الجماعات والطوائف الإسلامية المعاصرة، وفي

---

(١) انظر: التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي ص١٦١.

(٢) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ص١٠٠.

مقرراتها ومؤسساتها، فهي مليئة بالتعصب المذهبي، وفيها نزاع وصداع، وسباب وشتم، وتشنيع وتبديع، وتهويل وتنافس، انتصاراً للمذهب وتعصباً على مخالفيه[١].

- أنّ تمذهُب عوامِّ الناس وتعصّبهم لمذاهبهم عن جهل وطيش وعصبيةٍ عمياءَ بتحريض مشايخهم وكبرائهم؛ جعل هؤلاء العوامَّ وَقوداً لفتنٍ مذهبيةٍ داميةٍ حدثت بين الطوائف المذهبية في العصور الإسلامية المختلفة[٢].

- بقاء كثير من المسائل الأصولية والفقهية المختلف فيها بين المذاهب؛ على ما هي عليه دون تحقيق علمي نزيهٍ يرفع عنها الخلاف، لأن المتعصبين سعَوا جاهدين للاحتفاظ بمذاهبهم والاحتجاج لها والدفاع عنها حتى وإن كانت أدلتُهم ضعيفة، فأدى ذلك إلى تكريس العصبية المذهبية والتشجيع عليها والدفاع عنها، وإبقاءِ مسائل الخلاف قائمةً كما كانت[٣].

- أنه أدى إلى تمزيق وحدة الأمة وتفريقها وكثرة الصراعات القبلية الطائفية بين أفرادها، وضياع الحق وسط الجدال، واتباع الأهواء، ليؤديَ في النهاية إلى العنف والتشرد وضَعف الأمة وتكالُب الأعداء عليها.

- أنه أدى إلى تفشِّي وظهور التمايز الطبقي والعِرقي والمذهبي بين طبقات المجتمع، وذَهاب الأُخوّة لتحل محلها آفةُ الغرور والكبْر واحتقار الآخرين، قال ﷺ: «... **بحسْب امرئٍ من الشر ان يَحقر أخاه**

---

(١) انظر: المرجع السابق ص١٦٣.

(٢) انظر: المرجع السابق ص١٦٨.

(٣) انظر: التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي ص١٦٩.

المسلم...»[١]، كما أدى إلى: ضياع الأعمال الصالحة بحُجة عدم الانتماء والموافقه، وعدمِ نُصرة المظلوم والصدع بالحق، وترْكِ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٢].

- أنه أوْصَل الغلاةَ المتعصبين إلى الانحراف في فهم القرآن الكريم، باتباع الظن والهوى في فهمه، والاحتكام إلى الأفكار المذهبية المسبقة في تفسيره- كما هو حال الشيعة والمعتزلة وغيرهم من الفرق المنحرفة عن الشرع الحكيم- ومثال ذلك: ما رُوي أن شيعيًا جاء إلى الفقية أبي بكر غلام الخلال البغدادي (ت٣٦٣هـ) فسأله عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]، فقال له: هو أبو بكر رضي الله عنه فقال الشيعي: بل هو عليٌّ رضي الله عنه، فهمَّ به أصحابُه، فقال لهم: دعُوه، ثم قال له: اقرأ ما بعد الآية: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ [الزمر: ٣٤-٣٥] وهذا يقتضي أن يكون هذا المصدِّق ممن له إساءةٌ سبقَت، وعلى قولك أيها السائل أن عليًّا رضي الله عنه لم تكن له إساءة[٣]؛ فإن الآيةَ لا تنطبق عليه، وإنما على غيره وهو أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه.

- أنه أدى إلى تشويه صورة الإسلام المشرقة بسبب الغلو والتشدد التطرف ورفْض الآخر، والمطلوب إبراز صورته الحقيقة في وسطيته واعتداله، ورفضِه المطلق لممارسات فئةٍ قليلةٍ شوَّهَت صورتَه واستغلت وسطيته

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٢).

(٢) انظر: موقع www.jameataleman.org.

(٣) طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلَى، ٢/ ١٢٥ نقلاً عن: التعصب المذهبي، ص١٦٢.

لتسير به نحو الغلو والتطرف والإرهاب ورفْض الآخر.

والحاصل أن التعصب المذهبي أخطر الظواهر وأشدها فتْكًا وتدميراً، فلم تَشهد الأمة خسارة في وقارها وعزتها وهيبتها على مدى تاريخها؛ كخسارتها بسبب التعصب، وتكمن خطورتُه في أنه قائم على الكراهية والازدراء والتمييز والحقد ومنع الآخرين من ممارسة حقوقهم المشروعة، الأمر الذي يؤدي به إلى التشدد والتطرف.

المطلب الثاني: التحزب الطائفي

التحزب الطائفي هو تجمُّعُ فئةٍ أو طائفةٍ أو جماعةٍ على صفةٍ جامعةٍ أو مصلحةٍ شاملةٍ أو فكرٍ مخصوص، برأيٍ مخالف لرأي الجماعة المسلمة- دون دليلٍ معتبَر- يجعل الأمة شيعًا وفِرقًا، ويخرق سياجَ الأُخوَّة الإيمانية، ويشيع ثقافةً الكراهية، ويفكك النسيجَ الاجتماعي، ويُوقع فيما حذَّر الله منه من التمزق والتشتت، والعداء والصراع، ويؤدي إلى اضطرابٍ في الحياة الاجتماعية.

ومن مساوئ التحزب الطائفي وما يَؤول إلى التشدد والإرهاب:

- أن التحزب الطائفي قائم على مبدأ الحزب وشعاراته، لاعلى مبادئ الإسلام وقيمه وتعليماته، فهو تحجيمٌ للإسلام فلا ينظر إليه إلا كحزبٍ فقط، والله قد جعله دينًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].
- أن العلاقة بين التحزب والافتراق علاقة حميمة، فحيث وُجد التحزبُ كان الافتراق، وحيث حل الافتراق وُجد التحزب، وقد قال ﷺ: «**الجماعة رحمة، والفُرقة عذاب**»[(١)]، يقول الإمام ابن تيمية: «كل ما

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة)٨٩٥).

أوجب فتنةً وفُرقةً فليس من الدين، سواءٌ كان قولاً أو فعلاً»[١].

- أنه يورث عند أصحابه عُقدةَ الاستعلاء التنظيمي والثقافي؛ حتى إنهم يرفضون الآخرين تعالياً أو تجاهلاً أو تعصباً ضدهم، ويَسخرون منهم، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات: ١١][٢].

- التحزب الطائفي سببٌ للفُرقة، والفُرقة أول مِعْوَلٍ يضرب في وحدة الأمة وتماسكها، والطائفية المذهبية بتعدد مناهجها الفكرية واضطرابها؛ سببٌ للهزائم التي تحُل بالمسلمين، وأنَّى لأمة مفكّكة أن تصمُد أمام الأعداء ومؤامراتهم؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١][٣].

- أن كثيراً من الجماعات والأحزاب ينصبون أشخاصاً قادةً لهم، فيُوالون أولياءهم، ويعادون أعداءهم، ويطيعونهم في كل ما يُفتون لهم به دون الرجوع إلى الكتاب والسنة، وليس هذا لأحد إلا لرسول الله ﷺ، قال الإمام ابن تيمية: «مَن نَصب شخصاً كائناً مَن كان، فوالَى وعادَى على موافقته في القول والفعل؛ فهو من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شِيعاً»[٤]، وقال أيضاً: «وليس هذا لأحد غير النبي ﷺ»[٥].

---

(١) الاستقامة ١/ ٣٧.

(٢) انظر: موقع :www.ibtesama.com

(٣) انظر: حكم الانتماء إلى الفِرق والأحزاب، للعلامة بكر أبو زيد، ص١١١-١١٢.

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢/ ٢٣٩-٣٤٠.

(٥) المرجع السابق، ٢٥/ ١٦٤.

ومثل هذا المنهج لا يصلح أن يكون أساساً للتغيير ووحدة صف المسلمين، بل ولم يحدث أن توحدت كلمة المسلمين على مذهبٍ من المذاهب أوعلى حزب من الأحزاب، رغم المحاولات التي بُذلت لذلك، وإذا كان الأمر كذلك؛ فعلينا أن نختصر الطريق ونعود إلى التمسك بالمنهج الأول الذي يَصلح به أمر هذه الأمة، منهج الاتحاد والوحدة والاجتماع على ضوء الكتاب والسنة[١].

- التحزب الطائفي يُبيد الإخاءَ الإسلامي بمنظوره العام، إذ يبنى حجاباً كثيفاً دون ذلك، فلقاءُ مسلمَين من حزبين، قلب كلٍّ منهما معمق وفق تخطيط ومنهج لا يلتقي مع الآخر في الشعار أو فيما وراء الشعار، يورِث التناكرَ في القلوب، وتبادل الطرف الحسير، فيكون لقاءَ مجاملة أو شدٍّ ومجاذبة، أما اللقاء تحت شعار الإسلام وأخوَّة الإيمان ومحبة الإحسان، فهذا واللهِ تمام الإخاء وتآلف الأجناد[٢].
- التحزب الطائفي يمنح أعداء الإسلام فرصةً للطعن في الإسلام عقيدته وأحكامه، لأن العقيدة تَجمع ولا تفرّق، ومن المسلمين من لا يمسك بالإسلام الصحيح عندما يرى ما عليه الأحزاب والجماعات.
- التحزب يجعل المسلمين أضعف أمام المخاطر والعدو المشترك، وها هو التاريخ يحدّثنا عن تنازُع ملوك الطوائف في الأندلس وتحزّبهم ضد بعض، بل وباستعانتهم بالعدو ضد الأخ المختلف- وهذا ما يفعله بعضنا

---

(١) انظر: حكم الانتماء إلى الفرق والاحزاب والجماعات الإسلامية للعلامة بكر أبو زيد ص٩٣.

(٢) المرجع السابق ص١١٤-١١٥.

في هذه الأيام- فكيف كانت نهايتهم؟ وهل فرَّق العدوُّ بين جماعة وأخرى؟

ولنقترب من التاريخ أكثر؛ فها هو (موشِي ديان)- وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق الذي شارك في هزيمة الجيوش العربية المحتشدة واحتلال القدس والضفة الغربية وغزة وسيناء والجولان- عندما سئل عن سبب انتصار جيشه أجاب: «لأننا جيش واحد، وهم عدة جيوش»[(١)].

- التحزب الطائفي يؤدي إلى التفكك الاجتماعي، وحالة التشاحن والتباغض والحقد بين فئات المجتمع الواحد، وربما بين أفراد الأسرة الواحدة، وينتج عن ذلك مشاكل اجتماعية ونفسية وجرائم أخلاقية نتيجةً للجو العام الملوّث بنزاعاتٍ تخالف العقلَ والدين قطعًا، وتستهلك أكثر الطاقات، وتَحرم المجتمع والأمة من الاستفادة من هذه الطاقات في مواقعها الطبيعية- كالاهتمام بالشباب وقضاياهم- مما يُحْدِث خللاً في النظام العام تَنتُج عنه أفعالٌ قبيحةٌ وعُقَد نفسية واجتماعية يَدفع الجميعُ ضريبتَها[(٢)].
- لولا التحزب والتفرق لما تسنَّى لأحدٍ أن يمُليَ على الأمة ويَفرض عليها خياراتٍ تخالف دينها ومصالحها ومستقبلها، لكن ما حيلة الضعيف إلا أن يخضع لإرادة الأقوياء؟ ومن خلال ذلك مُرِّر ما يسمى (بمشاريع التسوية) الظالمة الهاضمة للحقوق: في فلسطين والبوسنة وغيرهما، فتُقدَّم التنازلات، وتُنتزع الاعترافات، بل وتقدَّم المبادرات والتبرعات لاسترضاء العدو الغاشم، أو للحصول على صك البراءة من تهمة

(١) انظر موقع: http://rasid.com/artc.

(٢) انظر المرجع السابق.

الإرهاب ونحوه، ولسان حالنا يقول:

فليْتَـكَ تحلـو والحيـاةُ مريـرةٌ ** وليتَـكَ تَرضَـى والأنـام غِضـابُ
وليـتَ الـذي بينـي وبينَـك عـامرٌ ** وبينـي وبـين العـالمين خَـرابُ
إذا صـح منـكَ الـوُدُّ فالكـلَّ هـيِّنٌ ** وكـل الـذي فـوق الـتراب تـرابُ

- التحزب الطائفي يَشغل الأمة عن همومها العظام وتحدياتها الجِسام، وتستمرئ حربًا طاحنة فيما بينها حتى يأكل بعضُها بعضًا، ويلعن بعضُها بعضًا، وكان الأَولى لها أن توجّه هذه الجهود والطاقات نحو البناء والتنمية ومواجهة الأعداء، فمن الخيانة للأمة أن يحمَى الوطيس، وتُنصب المجانيق، ويتقاذف الناس بكلمات هي أشد من الحجارة وأنكى من السهام، من أجل مسائلَ تحتمل أكثر من وجه، وتَقبل أكثر من تفسير، فهي من مسائل الاجتهاد التي دلت على سعة هذا الدين ومرونته، المصيبُ فيها مأجور، والمخطئ فيها معذور، وخطؤه فيها مغفور بل مأجور كما في الحديث الشريف، لذا كان من الواجب على المفكرين أن يَشغلوا جماهير المسلمين بهموم أمتهم الكبرى، والسعي الجاد لجمع الكلمة واتحاد الصفوف، حتى يكونوا كالبنيان المرصوص ضد كل مفرق ومخالف[1].

- أن التحزب يؤدي إلى تعميق الغرور والإعجاب بالرأي، وسوء الظن بالآخرين واتهام النوايا، والعصبية للرأي والزعيم والإقليم والبلد والحزب والجماعة، وتناكر القلوب، واحتقان النفوس بالبغضاء، وتتبُّع

(١) انظر: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، للدكتور يوسف القرضاوي، ص١٣٦.

عثَرات الآخرين، وصدِّ الناس عن سبيل الهُدى، وتثبيت العزائم، والانشغال عن معالي الأمور ومتطلبات الزعامة والرئاسة والزيارة والسياسة، وهذه الأمور تؤدي في النهاية إلى الغلو والتطرف والتشدد والإرهاب، ولو لم يكن من أمر التحزب سِوى أنه عمل مستحدَث لم يُعهد في الصدر الأول؛ لكفى به سوءاً كي نبغضه ونُعرِض عنه، نسأل الله السلامة والعافية.

الخاتمة

أختم هذا البحث المتواضع بجملة من النتائج أوجزها فيما يلي:

- الإسلام دين الوسطية والاعتدال، ويحارب الغلو والتطرف والإرهاب.
- عناية الإسلام بتماسك الأمة ووحدتها وحثه على ذلك، ودعوته إلى تربية الأجيال على حب الوفاق والوئام، وبُغض الافتراق والتشتت.
- التحذير من نوازع الشر المؤدية إلى التخويف والإرهاب والترويع والقتل بغير حق.
- منهج الإسلام مؤسس على الرحمة والرفق واللين مع الكل: المسلم والكافر، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، بل حتى مع الحيوان والطير.
- التحذير من التعصب المذهبي والتحزب الطائفي وتجنُّب أسبابهما وما يؤول إليه أمرُهما من التشدد والتطرف.

التوصيات:

- التأكيد على ضرورة جمع كلمة المسلمين ونبذ الفُرقة والخلاف.
- لفْت أنظار المسلمين إلى الحال التي يعيشون فيها، ومدى ما لَحِقهم من الخسارة والهوان بسبب التعصب المذهبي والتحزب الطائفي.
- بيان الآثار الواقعية بسبب التعصب والتحزب، التي ترسم صورةً مفزعة لمستقبل الأمة، ودعوة المخلصين إلى العمل لتجنبها حتى لا تقع الأمة فيها، أو إلى معالجة أسبابها حتى تتعافى الأمةُ من آثارها.

- الدعوة إلى تبنِّي دورات ومؤتمرات وندوات عن منهج الإسلام في التعامل مع قضايا التشدد والتطرف والتعصب والتحزب.

- إظهار السخط والاستنكار على من يضرب على وتر الحزبيات والعصبيات ويحاول ترسيخها وتأجيج نيرانها.

- تشجيع روح التافس والتسابق للخروج من نفق التحزب المظلم إلى الواقع المتقدم، والتفوق في أمور الدين والدنيا، والبعد عن السيطرة المطلقة والنظرة الأحادية التي يتشبث بها المتحزبون والمتعصبون ويعَضُّون عليها بالنواجذ.

- التذكر الدائم بأننا نواجه خطراً مشتركًا لا يميز بين فئة وأخرى، وإنما يريد القضاء على الجميع - إن سنحت له الفرصة- وأن هذه العصبيات والتحزبات هي أكبر هدية يمكن أن نقدمها له في سبيل تحقيق أهدافه وإضعاف قدراتنا على مواجهته[1]، فلنَثبت ولنصبر: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

(١) انظر: كيف نكافح التحزب: لأحمد عبد الرحيم، موقع www.mozn.net.

المراجع

١- أسباب اختلاف الفقهاء، للدكتور عبد الله التركي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ١٣٩٦هـ.

٢- الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ ابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣- الإنصاف في أسباب الاختلاف، لشاه وليّ الله الدهلوي، تعليق عبد الفتاح أبو غدة، دار النفائس.

٤- التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي: مظاهره، آثاره، أسبابه، علاجه، للدكتور خالد كبير علال.

٥- جامع الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٦- حكم الانتماء إلى الفِرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، للعلامة بكر أبو زيد، دار الحرمين.

٧- حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين محمد بن موسى الدُّميري، تحقيق:إبراهيم صالح، دار البشائر.

٨- السعوديون والإرهاب، رؤى عالمية، غينياء للنشر، الرياض ١٤٢٦هـ.

٩- سنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث.

١٠- سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعب السجستاني، دار الحديث، القاهرة.

١١- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، للدكتور يوسف القرضاوي.

١٢- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة.

١٣- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء التراث العربي.

١٤- الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر، بيروت.

١٥- الفتاوى الكبرى للإمام ابن تيمية، جمع:عبد الرحمن القاسم وابنه محمد النجدي.

١٦- فكر الإرهاب والعنف في المملكة العربية السعودية، للدكتور عبد السلام بن سالم السحيمي.

١٧- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلام، للشيخ محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي، المكتبة العلمية.

١٨- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن منظور، طبع بولاق.

١٩- مختار الصِّحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٠- المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ.

٢١- مسند الإمام أحمد، تحقيق جماعة من الباحثين بإشراف الدكتور التركي، مؤسسة الرسالة،

٢٢- موقف رابطة العالم الإسلامي من الإرهاب، من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

الدوريات:

- مجلة «الدراسات الإسلامية»، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، العدد ٣، يوليو- ديسمبر ٢٠٠٤م.

مواقع إلكترونية:

- www.alukah.net

- ibtesama.com

- http://khutabaa.com

- http://rasid.com

- www.rohama.org

- www.turess.com